الفصل الأول

العقيدة

- **الله ربي :**
  - خاصة الوحدانية .
  - خاصة الخلق .
  - حكمة الخالق وتوجيهاته لصون ما أبدعه .
  - الإسلام منطلق الإخاء بين الملل .
  - لماذا يرفض الإسلام الإكراه في الدين .
  - خاصة الحكم .
  - الالتزام .
  - الثمرة الطبيعية لمخالفة الإسلام .
  - قيمة الالتزام .
  - عورة المسلمة .
- **القضاء والقدر :**
  - الله حكيم .
  - نماذج للحكمة في البلاء .
  - آثار عقيدة القدر .
- **الحساب :**
  - الله العدل .
- **البعث والنشور :**
  - دليل البعث .
- **القرآن ووظيفته السياسية والاجتماعية :**
  - بعض أحكام القرآن في التلاوة .

obeikandl.com

obeikandl.com

اللّه ربى

• خاصة الوحدانية :

﴿ قُلْ هُوَ اللّهُ أحَدٌ (١) * اللّهُ الصَّمَدُ (٢) * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُواً (٣) أحَدٌ ﴾ (٤) .

وهذا هو النداء الذى جاءت به الرسل جميعاً من أجل تحرير الإنسان وأمنه وكرامته والحفاظ على حقيقته . فالذى يوحد اللّه فى الألوهية يأبى الاستعباد والانحناء لسواه .

﴿ وَمَا أرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إلاَّ نُوحِي إلَيْهِ أنَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ أنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (٥) .

وفى الفطره اقتناع بأن للوجود خالقاً مالكاً له ، متصرفاً فيه وحده : مهيمناً عليه سبحانه ﴿ قُلْ لِمَنِ الأرْضُ وَمَنْ فِيهَا إنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ للّه * قُلْ أفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ (٦) ، ﴿ ما اتَّخَذَ اللّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إلَهٍ ، إذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، سُبْحَانَ اللّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٧) .

ففى النفس إيمان فطرى وبدهى باللّه : خالقاً للنفس : إذ أنها شاعرة بعجزها ، وايمان باللّه خالقاً للكون العظيم ، إذ نراه كل يوم ولا نجد له من الناس راعياً . فلا بد أن يكون « مَالِكَ المُلك » واحداً ﴿ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ والأرْضَ أنْ تَزُولاَ ﴾(٨) ، ويكون غير أى شئ من العالمين . وغير مرئى ذلك هو اللّه رب العالمين .

---

(١) الواحد : المنفرد بالذات فلا يضاهيه أحد . والأحد هو المنفرد بالمعنى فلا يشاركه فيه أحد .
(٢) الصمد : المتناهي في السؤدد والتصرف والكمال - المقصود في جميع الحوائج المستغنى بذاته عما عداه .
(٣) الكفو : العدل - بكسر العين وسكون الدال - النظير - أو الصاحبة والولد (من الخازن).
(٤) سورة الإخلاص (٥) الأنبياء : ٢٥ (٦) المؤمنون : ٨٤ - ٨٥
(٧) المؤمنون : ٩١ (٨) فاطر : ٤١

ولكن من طبيعة القصور فى النفس البشرية أن ينفلت منها أحياناً زمام الحقيقة الفطرية ، حقيقة التوحيد فتغيب عن قلب المرء ، فإذا به يشرك بالله الخالق ، مخلوقاً مادياً أو معنوياً . أو مخلوقين ، ولهذا بدأ الله يرد الإنسان إلى الفكر الفطرى . والمنطق الطبعى والتجريبى فيهديه بالمنطق إلى فساد القول بالشركاء لله . لأنه لو تعددت الآلهة لكان لكل شخصيته التى تفرض الاختلاف والخصام ﴿ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾ (١) ، ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ (٢) .

وحتى أبسط الناس عقولاً وثقافةً يدركون هذه البدهية فيقولون : « المركب التى لها رئيسان : تغرق » .

ولا يمكن أن يتصور فى المنطق النظرى أو التجريبى أن يكون الله والداً أو مولوداً ، فالولادة عملية عفوية ، أو غير إرادية . تأتى بالرغم من المولود ومما ولد منه . والذى يكون بلا إرادة فى وجود نفسه ، أو بلا إرادة فى وجود غيره منه . يمثل العجز والتبعية والحاجة إلى الله الذى خلق المولود . ﴿ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴾ (٣) .أعنى أخرج المولود بيسر من مكان ضيق ومنحه الوجود ، وجعله عطية منه للوالد أو الوالدة . وهذا وجه فى تفسير الآية .

ونحن نشعر بالحاجة إلى الولد ليكون سنداً لنا فى الشيخوخة ، وليكون امتداداً لنا فى التاريخ والذكرى .. والإله غنى عن ذلك : لأنه قوى أبداً .. سرمدى الوجود . .

والمواليد خلق متشابهون فى جنسهم .. وخالق الخلق : كل المخلوقين له عبيد .. وتمييز عبد على غيره فى الانتماء إلى الخالق بالبنوة ، ووسم من سواه من المخلوقين بالعبودية ، إنما هو ترجيح بلا مرجح ، وهو ما ينفيه العقل بداهة . والله يقرر هذه الحقيقة الفطرية فيقول : ﴿ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَداً لاَصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ، سُبْحَانَهُ ، هُوَ اللَّهُ الوَاحِدُ القَهَّارُ ﴾(٤) .

---

(١) المؤمنون : ٩١
(٢) الأنبياء : ٢٢
(٣) عبس : ٢٠
(٤) الزمر : ٤

قال « استريدهبر ماسمارت » وهو شاب أمريكى أسلم : « لقد وضعت هذه الآية المسيح فى موضعه الصحيح من تصورى لمكانته كنبى من أنبياء الله المرسلين » .

* * *

• خاصة الخلق :

هو الله الخالق ، أما غيره فلم يخلق العالم ، ولا جانباً من جوانبه ، ولذا أفردته بالعبادة ، وكفرت بسواه ، لأنه غير جدير بذلك : ﴿ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَ يَخْلُقُ ، أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ ﴾ (١) ؟ !

وهو الخالق كل ما خلقه على أساس من العلم والحكمة والاتساق . فى أجزاء المخلوق ، وفى الترابط بين جميع المخلوقات التى جعل منها « وحدة العالم » ، ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ، فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴾ (٢) ؟!

ويعنو وجه العلم والعلماء لعظمة الله الخالق ..فلا يستطيعون خلق قلامة ظفر فى أنملة (٣) ، ولا بث الحياة فى نملة ، ولا يجدون إلا الإبداع فيما خلق الخالق . ﴿ بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ (٤) .. هذا منطق المشاهدة يدل على الله الخالق الذى نعبده .

فأنت حين ترى صناعة بديعة تستشعر أن صانعها مبدع حكيم خبير بما يفعله، وعندما تلاحظ أنه لا يوجد شيئان متشابهان كل التشابه ، حتى الحصى ، فأصبح لكل مخلوق بصماته وخصائصه المميزة .

فترى من المنطق العلمي أن الله واحد لا يمكن أن يكون له شريك فى ذاته أو صفاته ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ .

* * *

---

(١) النحل : ١٧ .
(٢) الملك : ٣ .
(٣) قلامة الظفر : ما يقص منه - والأنملة : العقلة الأخيرة من الأصبع التي ركب الله فيها الأظافر .
(٤) البقرة : ١١٧ .

• حكمة الخالق وتوجيهاته لصون ما أبدعه :

والله العظيم العليم المصور الحكيم الخبير اللطيف فى كل ما خلق ، لا يمكن أن يكون عابثاً فى أعماله الحكيمة التى تشهد بالخلو من العبث ، ﴿ أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾ (١) ؟!.

فمن الحكمة أن يكون فى ذهن كل امرئ إدراك أنه ليس إلهاً فى هذه الأرض يمشى فيها كما يشاء له الهوى ، بل هو مخلوق يسير أسيراً فى يد الخالق الرحيم الذى منحه الفكر والقوة ونور البصر والبصيرة (٢) ، ورقة الحواس ، وأنزل له من السماء ماءً طهوراً ليحيى به بلدة ميتاً ويسقيه أنعاماً وأناسى كثيراً .

وليس من الحكمة أن يكون مجتمع بلا قانون ونظام يحمى المجتمع من الفوضى والاضطراب والضياع ، فمن المنطق التجريبى أن كل صانع لأى شئ ، وكل مبتكر لأى آلة ، ولأى جماعة ، يضع الضمانات الكافية لحماية الآلة أو الجماعة ، لأنه يحب ما يخلق ويصنع ، وهكذا - ولله المثل الأعلى - كان للمخلوقين كتاب ينظم حياتهم ، ويحميهم من الاضطراب والانحلال والإرهاق المدمر ، ويصونهم من الضياع .

فمن منطلق الحب لما خلق : أرسل الله رسله بالكتب مبشرين ومنذرين .. ليضيئوا الطريق لعباده الذين خلقهم وأحبهم ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا ، مَا كُنْتَ تَدْرِى مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُوراً نَهْدِى بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ، وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٣) .

ومن منطلق الحب يثيب المرء ابنه ويعاقبه ، ومن منطلق الحب كان ثواب الله وعقابه .

ومن المنطلق التجريبى أننا نحب ما يحب آباؤنا ونحترم من يحترمون .

---

(١) يُترك سدى : يُترك مهملا ، عبثاً لا رقابة ولا محاسبة - سورة القيامة : ٣٦
(٢) القلب والعقل .
(٣) الشورى : ٥٢

وكما أحب الله خلقه ، علينا أن نحب خلقه ، ونحترم رسله ، فنحب الناس جميعاً حتى الذين نحمل السيف لقتالهم ، نحبهم ولا نحمل السيف إلا ليرعووا ، كما يحمل الطبيب مبضعه لينقذ بجرح دام مريضاً فى طريق الفناء .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازماً فليقس أحياناً على من يرحم

ومن هذا المنطلق أيضاً إقامة الحدود الإسلامية على مقترفى الجرائم الكبرى كالسرقة والزنا والخمر ، والقذف ، وقطع الطريق ، والقصاص ، وفى القتل والجراحات .

* * *

• الإسلام منطلق الإخاء بين الملل :

ونحترم ديانات الناس المنزلة من عند الله وندعوهم بالحسنى إلى الحق ، ونقر بأن الله أرسل رسلهم فـ ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾ (١) .

وكيف نفرق بين رسول ورسول ؟ إنهم جميعاً سفراء الله إلينا ، فمن كذّب رسولاً أو احتقره أو أنكره فقد أهان الرب الذى أرسله .. فكل رسول جاء بالدليل الذى يؤكد لنا أنه سفير الله إلينا ، وقدم أوراق اعتماد السماء له إلينا ممثلة فى معجزاته .

والإسلام وكتابه لما كانا للعالمين فقد فرض إحترام جميع الرسل الذين آمنت بهم كل الجماعات البشرية : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُم مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ، وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ (٢) .

ونحن كأمة نيط بها دعوة الناس كافة إلى الإسلام - واجبنا أن ننفذ قرار احترام الرسل كنقطة تصلح ملتقى للحوار بيننا وبين الناس كافة ، وتجعل الباب مواربا .

والله الذى أحبنا ما كان ليتركنا نضيع فى متاهات الحياة المظلمة ، فكلما انطفأ مصباح من مصابيح الهداية بموت رسول بعث رسولاً بمصباح جديد ،

---

(١) البقرة : ٢٨٥ .

(٢) غافر : ٧٨ .

وهكذا حتى جاء محمد ﷺ بمصباح الهدايات التى سبق بها المرسلون السابقون بعد أن أصبحت نسياً منسياً ﴿ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ ﴾(١).

فمن آمن بالقرآن واهتدى به فقد آمن بكل الكتب السابقة .. ومن كفر بالقرآن ومضمونه فقد كفر بالرسالات السابقة ، لأنها لم تدون قبل محمد ﷺ فى كتاب أو أثر بلغة معروفة لنا . وليس لدينا دليل علمى ولا شبه علمى على أن فى الأرض كتاباً لله ثابت النسب غير القرآن الكريم ، ولا يجادل فى هذا عالم ولا مؤرخ ، سواء أكان مسلماً أو مسيحياً أو يهودياً أو زرادشتياً . فالكتاب الوحيد الذى دُوِّنَ فى عهد رسول الله ﷺ ، ثم نُقِلَ إلينا متواتراً يرويه الثقات عن الثقات حتى وصل إلينا هو القرآن .

وتليه فى الدرجة أحاديث الصحاح .. وبهذا فنحن على ثقة من مصادر الإسلام ، وأما غيره من الكتب ففيها يقول ربنا : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ، يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَن مَوَاضِعِهِ ، وَنَسُوا حَظّاً مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾(٢) . فهى بفقدان سلسلة الرواية مواليد غير شرعية . إذ هي مجهولة الأنساب بالكلية .

ثم إن دعوة الرسل كلها واحدة ، وإن تكذيب أى رسول يعتبر تكذيباً لجميع الرسل منطقياً ، إلى هذا تشير كيفية تعبير القرآن عن تكذيب الأمم لرسلها ، ففي تكذيب نوح يقول : ﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ ﴾ (٣) . وفي قوم هود يقول : ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلاَ تَتَّقُونَ ﴾ (٤).

والإسلام بهذا ليس دين طائفة أو جنس ، فهو رسالة موسي وعيسى وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام، تحدَّث القرآن عن مضمونها جميعها فقال : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ (٥) .

---

(١) المائدة ٤٨ (٢) المائدة : ١٣ (٣) الفرقان : ٣٧
(٤) الشعراء : ١٢٣ - ١٢٤ (٥) الأعلى : ١٨ - ١٩

وتحدّث عن إبراهيم ودعاوي التمزق الطائفي في عصر النبوة فقال : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً ولاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

وصاح في دعاة التمزق قائلاً في احترام وأدب : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَإِن تَوَلَّوا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

وتحدّث عن وحدة الأصول الدينية فقال : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ، أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (٣) .

وأعلن القرآن كفر الذين يفرقون البشرية باسم الأديان والرسل فقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً ، وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً ﴾ (٤) .

إننا نحب المرسلين جميعاً ، لأنهم أحباب الله الحبيب ، ونحكي بالاحترام قصصهم ونهتدي بسلوكهم ، وما يرويه غير المسلمين مما يناقض القرآن مرفوض علمياً ، لأنه ليس لروايته إسناد علمي ولا غير علمي ، وما وافق القرآن ، فالقرآن يكفينا : ﴿ أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (٥) .

* * *

• لماذا يرفض الإسلام الإكراه في الدين ؟

ونصوص الإسلام لا تقبل إسلام المكره على دخول الإسلام ، والله يُحَرِّم إرغام غير المسلم على الإسلام : ﴿ لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (٦) .

وسمى الله الذين يظهرون الإسلام دون اقتناع : منافقين .

---

(١) آل عمران : ٦٧ (٢) آل عمران : ٦٤ (٣) الشورى : ١٣
(٤) النساء : ١٥٠ - ١٥١ (٥) العنكبوت : ٥١ (٦) البقرة : ٢٥٦

وبما أنهم يشكلون في بناء الإسلام اللبنة الهشة ، وفي حلقاته القوية حلقة ضعيفة تهدد السلسلة بالخطر عند استعمالها . . جعل عقوبة المنافق أشد من عقوبة الكافر المستعلن بكفره ، إذ أن المرض الخفي أشد خطراً من المرض الظاهر بأسبابه ومظاهره . . ولذا قال سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ ﴾ (١) .

ولا خلاف بين علماء المسلمين في هذا الذي أقرره .

إن الإسلام يحترم العقل والقلب . ومن الإذلال لهما اكراههما على الانضواء تحت دين لم يعرفاه .

* * *

• خاصة الحكم :

والله هو الحَكَم العَدْل مَالكَ المُلك ذو الجلال والإكرام .

ومقتضى هذا أن المال مَال اللَّهَ ونحن وكلاء الله فيه ، وليس للوكيل أن يتصرف في مال موكله إلا في حدود إذنه . . فقواعد البيع والشراء والكسب والهبة ، وتحديد الكسب غير المشروع كالربا والسرقة والغش والاختلاس والغبن والتطفيف . . كل ذلك له تشريعات ولوائح وقوانين لا يجوز للوكيل (المسلم) فرداً أو جماعة أن يتخطاها . . ومن استحل تخطيها فقد كفر بالله الذي أنزلها.

وكمنازعات الأموال : الخصومات والمخالفات الاجتماعية وقواعد الحياة الاجتماعية المثلى ، وقد وضع القرآن والسنة أحكام كل ذلك . . فاستحلال مخالفتها جريمة في حق الله الحكم العدل ، وافتئات على حق من حقوق الله وهو الحُكْم : ﴿ أَلاَ لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾ (٢) .

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (٣) .

﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (٤) .

---

(١) النساء : ١٤٥ .
(٢) الأنعام : ٦٢ .
(٣) المائدة : ٤٤ .
(٤) النساء : ٦٥ .

واللجوء إلى أى ساحة للقضاء الذي لا يلتزم حكم الله وتعاليمه مظهر للنفاق . ولهذا فهو لا يذهب إلى دور القضاء غير الشرعي إلا مضطراً .

ولا عبرة بالاحتجاج بأن القرآن غير كاف لسد حاجات البشر من القوانين أو لمواجهة التطور : ﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ ، واللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ ، وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ * وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ * وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ، بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (١).

ولم يُنزِّل الله القرآن رقية أو تميمة أو قصة للترفيه والتسلية ، أو فلسفة تُغذي العقل ، أو نفحة ترقق الوجدان . وإنما نزّله للحكم بين الناس في كل قضاياهم العقلية والمادية والروحية .

وفي السنة النبوية بيان وتفصيل لما أجمله القرآن كملت به شريعة الإسلام كما قال عليه الصلاة والسلام : « أوتيت القرآن ومثله معه » . وفي مؤتمر القانون الدولي بلاهاى أجمع الأعضاء على أن تشريعات الإسلام وقوانينه هى أسمى التشريعات ، وفي الأزمة التي انتابت العالم عقب الحرب العالمية الأولى قال الفيلسوف برنارد شو : « ما أحوج العالم إلى رجل كمحمد يحل مشكلاته المعقدة بينما يشرب فنجالاً من القهوة » .

﴿ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلاَ وَاقٍ ﴾ (٢) .

وليس من حق أحد ولو كان رسولا أن يقضي بغير ما أنزل الله مهما دخل في روعه أن المصلحة في غير ما نص عليه كتاب الله : ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ، وإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ

(١) النور : ٤٦ - ٥٠ (٢) الرعد : ٣٧

لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ، وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1].

* * *

• الالتزام :

وحينما شرَّع الرهبان والأحبار - وكانوا حكام قومهم في العصر الروماني - قوانين للناس الذين اعتقدوا قداسة هذه القوانين وقداسة الذين شرَّعوها . وأنها واجبة الالتزام - وإن خالفت أمر الله - اعتبروا مشركين ، واعتبروا قوماً يؤلهون الرهبان والمشترعين لهم ، وقال القرآن عنهم : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ والمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ ، سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2] .

* * *

• الثمرة الطبيعية لمخالفة الإسلام :

والقرآن عندما يبين أن سبب البلاء مخالفة بعض تعاليم الله حتى وإن وجدت الطاعة في البقية الباقية من تعاليمه سبحانه - إنما يجري مع المنطق التجريبي ، لأن الإصلاح وحدة لا تتجزأ ، وأيما ثلمة في النظام الاجتماعي أو الأخلاق الشخصية يؤدي إلى كارثة مدمرة للمجتمع أو الشخص .

ومن أمثلة ذلك ما قاله عليّ بن أبي طالب في حد الخمر [3] : من شرب سكر ، ومن سكر هذى ، ومن هذى افترى ، ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ، فمن شرب الخمر وجب جلده ثمانين كذلك .

وهكذا قل في الرجل الذي يستبيح « الإسراف » في شيء ما ، فتكوِّن عنده عادة الإسراف ، يندفع بضغط هذه العادة إلى سلسلة أخرى ، من القبائح . . يندفع إلى تناول الشبهات وطلبها ، وهي ذريعة الحرام ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام . كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه : فيسرق .

---

(١) المائدة : ٤٩ - ٥٠ (٢) التوبة : ٣١

(٣) حد الخمر : العقوبة التي قررتها الشريعة بالنص وحددتها - أما العقوبة التي ترك الله تحديدها للدولة فتسمى « التعزير » .

ويرتشي . ويتستر على المذنبين إن كان في هذا ما يخدم مصالحه حتى تضيع الحقوق . فتختل الحياة الاجتماعية . وهكذا يستدين من أجل مآربه ونزواته . والدَّين هم بالليل ومذلة بالنهار ، فيصاب بالاضطراب النفسي وتضطرب ميزانية أسرته ، وقد يصاب بالتوتر العصبي . وإذا ألف المذلة للدائنين فقد الإحساس بالكرامة التي وهبها الله للإنسان ومنحه إياها .

وأمة في أفرادها قوم لا يشعرون دائماً بالكرامة تألف تلقى ضربات العدو المذلة . فلا تقاوم ولا تدافع عن حياضها وكرامتها .

والإسراف في الملبس والمطعم والمسكن والزينة والمجاملات يوجد الإنسان المترف الذي يشده الترف إلى الحرص والشح والجبن ، والعجز عن مواجهة الشدائد ومناصرة الحق ، ومجالدة الأعداء والحكام الظالمين المستبدين . فيوجد من المترفين أعضاء مشلولون في الجماعة البشرية ، ويتحول المجتمع إلى مجتمع أشل عاجز عن التحرك لحماية الحق فيه . وهذا سبيل الهاوية : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً ﴾[1].

وهذه صورة تكشف لنا كيف أن الاختلال في السلوك في جانب واحد يشد إلى الهاوية ، وبانقطاع حلقة في سلسلة الخلق الاجتماعي ينفرط عقد الأخلاق جميعه .

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقـم عليهم مأتماً وعويلا

ولذا كان ما يسميه علماء الاجتماع الشيوعيون « حتمية الالتزام » بكل قواعد وتعاليم المذهب ، لأنها حلقات يكمل بعضها بعضاً . وبعبارة الإسلام « فرضية الاستقامة » .

إنه التزام للتعاليم السماوية . . ولو أدى إلى مفاصلة الأصدقاء ومنابذة البشرية جميعاً . ﴿ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ [2] .

هذه طبيعة الإيمان بالمبادىء والمعتقدات ، عرفناها في الشيوعية وفلسفتها حديثاً ، وعرفناها في الملل والنحل منذ آلاف السنين ، إلتزام ومفاصلة .

---

(١) الإسراء : ١٦ (٢) الشورى : ١٥

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ (١) .

من هذا المنطلق كان طبيعياً أن رأينا طالبة حضرت حفلاً لتوزيع جوائز التفوق أقيم لها ولزميلاتها . وقالت الآنسة ناظرة المدرسة (في الستينيات) : اخلعي خمارك عندما تتسلمين من وكيل الوزارة جائزتك ، فرفضت الفتاة الانصياع لأمر الناظرة . وخرجت تبكي دينها وتنعي أهله رافضة استلام جائزتها .

ورأينا أخرى في المدرسة الإنجليزية (سابقاً) ، تأمرها ناظرة المدرسة أن تكون كباقي التلميذات حاسرة الرأس ، قائلة : هذه تقاليد المدرسة وتعاليمها .

فأجابت الفتاة : ولكن تعاليم اللّه أولى بالاتباع ، فبهتت الناظرة واستسلمت.

وفتاة أخرى خطبها شاب ، وسألها عن « الشبكة » التي تختارها فقالت : لا شيء أكثر من « دبلة الخطوبة » ، إن التي تطلب أساور من ذهب إنما تطلبها لتكون زينة معصمها المكشوف للجماهير الغادية والرائحة . وأنا مسلمة لا يحل أن يرى لحمي أحد ، فإذا اشتريت - كما تشتري الزميلات - أساور فما قيمتها ؟ إنها حلية يزدان (٢) بها اللحم الرخيص المكشوف للذباب البشري الوضيع بفسقه وفجوره ، وليس لي لحم رخيص ينكشف لغير زوجي .

وهى فتاة كأنها فلقة من القمر ساحرة العينين . وقد دفعها إيمانها بالخالق الذي صوّرها فأحسن صورتها إلى أن تلبس منظاراً يحجب جمال عينيها ، ويقي الرائين شر سحرهما .

إنها مسلمة تعرف معنى الاستقامة أو « الالتزام » وقد سأل أعرابي رسول اللّه ﷺ قائلا : يا رسول اللّه . . قل لي قولاً في الإسلام لا أسأل بعده أحداً . فقال عليه الصلاة والسلام : « قل : آمنت باللّه ثم استقم » .

---

(١) الممتحنة : ٤ (٢) يزدان : يتزين .

ومن منطلق الحساسية الروحية المجيدة ما رُوِيَ أن امرأة من صالحات نساء قريش خرجت إلى بابها تغلقه ورأسها مكشوف فرآها أجنبي . فرجعت وحلقت شعرها ، وكانت من أحسن النساء شعراً ، فقيل لها في ذلك قالت : ما كنت لأدع على رأسي شعراً رآه من ليس بمحرم [1] .

وفي قريتي سمع تلميذ في المدرسة الابتدائية من مدرسه أن رسول الله ﷺ قال فيما يروى عنه : « بين المؤمن والكافر ترك الصلاة » : وقال : « تارك الصلاة ملعون ، وجاره إن رضى به ملعون إلى يوم القيامة » . والمخلص من جارك الذي تضطر للأكل معه - إذا كان لا يصلي - أن تأكل في طبق خاص ، فإن لم يكن إلا طبق واحد فخط بينك وبين من يؤاكلك خطاً . .

وعندما آب [2] التلميذ إلى البيت ، وقدم له مع الأسرة طبق من الأرز المطبوخ باللبن خط التلميذ بينه وبين والده - الذي لا يصلي - خطاً . فسأله والده عما يفعله فأخبره بما قاله مدرسه . . فكان هذا الالتزام من الشبل الصغير لدينه سبباً في تغيير حياة أبيه ، إذ قام إلى صلاته فداوم عليها حتى مماته .

* * *

• قيمة الالتزام :

وإن الالتزام بمبدأ في كل التصرفات الشخصية والجماعية هو أقوى إعلان عن المبدأ : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [3] .

إن أشجع فتى وفتاة هو الذي يستعلى على تقاليد المجتمع البالية الفاسدة العفنة ، ويتحدى فجور العصر وإنحلاله ويقول بسلوكه العملي ، أو تقول الفتاة بزيها النوراني : أنا مسلم . . أو أنا مسلمة . . العظيم هو الذي يتحكم في شهواته ونزواته التي يشده المجتمع إلى إشباعها فيقول : حرام . . أنا مسلم .

---

(١) دولة النساء ص ٤١ . (٢) آب : رجع . (٣) انظر للمؤلف كتاب « الله أحد » فصل علاقة التوحيد بالعبادة (تحت الطبع) والآية من سورة الأحزاب : ٢١

إن الفتاة التي ترتدي خمارها وتستر كل جسمها فلا يُرى إلا وجهها وكفاها ، ثم تمشي في طريقها يكسو وجهها نور الإيمان وبهاء العفة . ورواء الشرف . إنما هى ملاك يمشي على أرض البشر في صورة عروس . . تحييها الملائكة أنّى سارت ، وتحوطها القلوب العفة أنّى تحركت ، وتنظر إليها عين رسول الله ﷺ بالإعجاب ويناديها من وراء أربعة عشر قرناً : « من تمسك بسنتى عند فساد أمتي فله أجر مائة شهيد » .

أيتها المتحدية للخنا والفجور ، أنت حجة الله المتجسدة على بنات حواء ، وبني آدم . وفي عملك الدليل على أن شرائع الله - ممكن - عندما يكون إيمان صادق جاد - أن تُنَفَّذ وأن تُلتزَم ، وأن أحكام دين الله سهلة وميسورة .

أنت الدليل على صدق قول الله : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (١) وعلى أنه سبحانه لم يشرِّع لنا ما يحرجنا : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (٢) .

تنظم الأمم مهرجانات التقدير للشهيد ، وإن المتحجبة في عصر الإباحية أعظم في الآخرة من مائة شهيد حين تستر بخمارها عن اقتناع وإيمان بأنها تدعو إلى الله عملياً بسلوكها ومظهرها . . إنها قديسة حية حين التزمت في اعتزاز كلمة القرآن : ﴿ وَقُل لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِن أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ، وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ (٣) أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ (٤) أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ (٥) مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ، وَتُوبُوا إِلَى اللّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٦) .

* * *

(١) البقرة : ٢٨٦ (٢) الحج : ٧٨ (٣) البعل : الزوج

(٤) الأبناء والعبيد في العصور التي فيها رقيق .

(٥) الخدم الخصي أو الذين فقدوا الشهوة لشيخوخة أو لمرض . (٦) النور : ٣١

• في عورة المسلمة :

المسلمة تغض طرفها ولا تكشف عن شيء من مفاتنها لأحد ولو كان قريباً لها وفي بيتها ومحضر إخوتها . . ولا تضع خمارها جانباً ، أو تكشف شعرها إلا أمام والدي الزوجة والزوج ، والإخوة ، والأبناء ، وبني إخوتها فقط .

أما الأعمام والأخوال وبنوهم فقال بعض العلماء : هم كالأجانب حين تلقاهم . لا يجوز أن يروا شيئاً منها ما عدا الوجه والكفين ، لأن الأعمام والأخوال يصفون لأبنائهم ما يرونه من جمال بنات إخوتهم حرصاً على تحبيبهن إلى قلوبهم ليتزوجوهن ، فيُهَيِّجون جنسياً . واستدلوا بأن النفي مع الاستثناء في الآية : ﴿ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ ﴾ . يفيد القصر وإرادة الحصر لمن جاء الاستثناء بشأنهم بعد لفظ « إلا » .

ثم إن التفصيل والتحديد لأنواع المخالطين للأنثى من البشر يؤكد إرادة القصر والحصر ؛ إذ أن عادة القرآن الإجمال ، فلا يخرج عن القالب المألوف في أسلوبه إلا لقصد الحصر .

ومن العلماء من يُلحق الأعمام والأخوال بهؤلاء المذكورين في الآية باعتبارهم محارم .

ومنهم من يُلحق بهم الأقارب من جهة النسب . والأقارب من جهة الرضاع [1] .

وجاء في الفقه على المذاهب الأربعة في فصل « ستر العورة خارج الصلاة »: « وقال المالكية : عورة المرأة من محارمها الرجال : هو جميع بدنها ما عدا الوجه والأطراف ، وهى الرأس والعنق واليدان والرجلان » .

وهكذا قال الحنابلة : المرأة كلها عورة مع المحارم إلا الوجه والرقبة والرأس واليدين والقدم والساق .

---

(١) التفسير الواضح للدكتور محمود حجازي للآية ٣١ من سورة النور .

وقال الشافعية والحنفية : عورة المرأة الحرة خارج الصلاة هى ما بين السرة والركبة إذا كانت في خلوة أو في حضرة محارمها . أو في حضرة نساء مسلمات ، فيحل لها كشف ما عدا ذلك من بدنها بحضرة هؤلاء ، أما الكافرات فيعاملن معاملة الرجال في الاطلاع على عورة المسلمة .

ولم يفرق الحنابلة بين المسلمات والكافرات في حدود عورة المرأة المسلمة بمجالسهن ، وجرى أبو الأعلى مجرى الحنابلة خلافاً للجمهور [١] .

أما عورتها مع غير المحارم فجميعها عورة إلا الوجه كما قال الجمهور ، ويرى الحنابلة أن الوجه عورة ، ولكن العلماء اتفقوا على جواز كشف المرأة وجهها - ترخصاً - لضرورة تعلم أو تطبيب أو عند أداء شهادة أو عند تعامل من شأنه أن يستوجب الشهادة .

والمسلمة إذا مشت حاولت ألا يبدو من مفاتنها وزينتها شيء ، فالتي تلبس حذاء يكشف عن أظافرها الملونة وعن عقبها لم تعرف معنى الالتزام بمبادىء الإسلام . والتي تظهر من خمارها خصلة من الشعر لم تعرف الالتزام . إن النار ستلتهم حتماً كل مكشوف أمر الله بستره ، وحين تندلع النار في هذه الخصلة أو ذاك العقب ، أو هاتيك القلامة من الظفر ، سوف لا يمكن إطفاؤها حتى تلتهم الجسم كله فلا تدعه إلا فحماً تتجدد فيه الحياة ليحترق مرة أخرى : ﴿ كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾ [٢] .

إن المرأة كلها عورة ما عدا وجهها وكفيها ، بل ووجهها عند الحنابلة كما ذكرنا . فيجب أن تُصان إلا على زوجها وأسرتها الخاصة ، ولها مع زوجها وفي مخدعها كل ما شاءت من زينة أو ثياب أو رائحة عطرة . أما غير زوجها فلا يرى إلا ما تضطر إلى كشفه للعمل : الوجه والكفين [٣] .

---

(١) الفقه على المذاهب الأربعة : فصل « ستر العورة خارج الصلاة » ، والحجاب لأبي الأعلى المودودي ص ٢٩٢ - دار الفكر . (٢) النساء : ٥٦ .

(٣) انظر أحكام نظر الرجل إلى المرأة في كتابنا « شطحات مصطفى محمود » ص ٢٨٨ طبعة أولى .

فعن أبي موسى رضى الله عنه عن النبي ﷺ : « كل عين زانية . والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا » : يعني زانية . رواه أبو داوود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح . ورواه النسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما ولفظهم : قال ﷺ : « أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم ليجدوا ريحها فهى زانية . وكل عين زانية » . أى كل عين نظرت إليها نظرة إعجاب واستحسان .

وروى مسلم وغيره عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس » - يشير إلى الحكم الإرهابى - « ونساء كاسيات عاريات » - يعني ذوات الملابس الضيقة والشفافة - « مميلات مائلات ، رؤسهن كأسنمة البخت » -أى الجمال - « المائلة» - نساء الموضة في اللبس وتصفيف الشعر المكشوف - « لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا » .

* * *

• لبس النقاب :

من فتيات الجامعة من تلبس النقاب فلا يُرى وجهها ، وهذا أحوط للدين ، وإن كانت النصوص لا تفيد الإلزام بهذا لأنها ليست قطعية الدلالة .

والاستشهاد بأن النهى عن التبرقع للمحرمة في الحج دليل على أن الأصل هو حرمة كشف الوجه في غير الحج مردود : إذ يُقال : لو كان كشف الوجه حراماً في الأصل لما أُحِل في الإحرام بالحج ، فإن الحج زيادة في الطاعة والعفاف لدرجة أنه يبطل في أثنائه عقد النكاح لمن أراد الزواج وهو محرم ، وحرمت على المحرم المعاشرة الزوجية وكل ذلك مباح في الأصل . وليس الحج تحللاً من المحرمات ومبيحاً للمثيرات .

وقد اتفق العلماء على أنه يجب على المرأة أن تستر وجهها - ولو لم يكن في ذاته عورة - عند خوف فتنة الناظرين إليها إن كانوا فساقاً أو كانت رائعة الجمال ، أو كانت متجملة بزينة .

* * *

القضاء والقدر

• الله حكيم :

وما دمت قد آمنت بالله رحيما عليماً خبيراً فإنني - بداهة - أؤمن بأن أفعاله جميعاً : فيها حكمة ، وقد تبدو لي اليوم ، وقد تخفى سنين . . وكم من مصيبة أصابتني إلا عرفت لها أحد وجهين :

إما أن أكون قد قصرت وأسأت التقدير للأمر . . ويكون تأويلي للمصيبة حينذاك هو قول الله : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ (١) فلا ألوم إلا نفسي . . ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢) .

وإما أن أكون قد بذلت جهدي في تقدير الموقف . . ولكن كان الأمر أعظم من طاقتي . . وحينئذ أعرف أن الله يطوي في البلية عطية . . ويضع في المحنة منحة .

* * *

• نماذج للحكمة في البلاء :

وكلما تدبرت أموري الماضيات تكشف لي حكمة الحكيم سبحانه . . رأيتها في الصمم ابتُليت به ، فكان الباب لتخليصي من تهم عقوبتها الإعدام أو الأشغال الشاقة المؤبدة .

وغضبت زوجي أو عمل الشيطان على الوقيعة بيني وبينها ، ثم بيني وبين أولادي وكانوا جميعاً مع أمهم فلذات كبدي لا أطيق أن يجرحهم النسيم . فكان في هذا الشقاق المؤقت رحمة بي ، إذ أرغمتني أحداث شداد على أن أعيش مضطراً بعيداً عنهم وراء قضبان سجون ناصر ، ولو كانوا قبل أن يصنع الشيطان ما صنعه بيني وبينهم لكنت في اغترابي أعيش على أحر من الجمر وأعنف من حريق اللظى ، لقد كفكفت الخصومة المؤقتة من حب عنيف متسلط ، حب من يرى في زوجته طهارة الريف ، وفي أبنائه أمل الغد المشرق الوضاء .

---

(١) الشورى : ٣٠ (٢) الروم : ٤١

وفاتني القطار مرة وقد كان في انتظاري عند محطة الوصول مؤامرة وكمين نصبه الإرهاب لاعتقالي ، وحين تأخرت انصرف المتآمرون .

هكذا كلما استرجعت قصة ماض مرير وتابعت ما تلاها من أحداث عرفت حكمة الله ، حتى أنني لأتساءل عند كل ضيق وأسى . ثم ماذا تريد أن تمنحني يارب بعد ذلك ؟ سبحانك لا تخلو أفعالك من الحكم ! !

وما دام الله حكيماً وحكمته وراء كل عمل ، فمن البدهي أن أكون مؤمناً بالقضاء والقدر وبما يقضي به الله ويُقَدِّر . . وطبعي أن أومن أنني حين أعمل سأجزي عليه وفق نيتي وحركتي وتخطيطي ، وليس تماماً وفقاً للنتائج التي حصلت عليها . فأنا كما قال القائل :

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده ... وليس عليه أن تتم المطالب

ولكن النتائج الطيبة أو الخبيثة لعمل أقصد طيبه أو خبثه هي الدليل على ما أرجوه ، أو ما ينبغي أن أتوقعه من جزاء ، وهي أمارة على مقدار هذا الجزاء ومداه .

* * *

• آثار عقيدة القَدَر :

اتفقت كلمة فلاسفة الغرب والشرق على أن عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك ، كانت من أهم عوامل ثبات المسلمين في فتوحاتهم ، كما أنها كانت أهم أسباب نجاح المسلمين في حياتهم ، فإنهم إذا ما دهمتهم الكوارث لم يُسقط في أيديهم وتشل الأحداث تفكيرهم عما يجب أن يتخلصوا به من سوء ما أصابهم ، بل يستعيدون ما فقدوه بصورة أفضل . فالإيمان بالقضاء والقدر أقوى أسباب توازن الشخصية عند حدوث ما يبعث على اختلالها .

وفوق هذا . . فالعاقل يرى في إخلال القضاء والقدر بأضخم التدبيرات

البشرية والنواميس الطبعية والاجتماعية دلالة على الله الذي وراء كل التدابير والسنن .

* * *

الحساب

• الله عدل :

ويختلف الحساب والجزاء باختلاف الطاقات : ﴿ لاَ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا ﴾ (١) ، ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٢) ، ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ ﴾ (٣) . وفي الحديث الصحيح : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

وما دام الميزان حساساً والإحصاء دقيقاً . . فالمنطق الطبعي أن يكون لي عند أي تصرف وأي مقالة وأي فكر وقفة ، أنظر فيها استقامة ما أقول وما أفعل وما أفكر مع تعاليم الله الذي يسمع ويرى ما نخفي وما نعلن ، وهذه الوقفة من شأنها عندما أعتادها أنا المسلم أو تعتادها أختي المسلمة ، أن يتولد عندي وعندها من محاسن الصفات صفة الضبط للنفس والعقل ، فلا يكون التفكير ولا العمل ولا القول عشوائياً ولا فطيراً فجاً (٤) . وإنما عن روية وتدبر، وتخطيط.

وأمة أفرادها على هذا المستوى من النضج والسلوك قمين بها (٥) أن ترقى في أناة وثبات إلى قمة المجد ، وشخص يكون طابعه هكذا ، ينظر إليه الناس بالإجلال والاحترام ، والتقدير . . إن قال استُمعَ إليه ، وإن تَشَفَّع قُبلت شفاعته، وإن خطب فتاة زُوجها ، وإن اتجر ربح في تجارته ، وإن قاد معركة ظَفر وغنم .

وما دام الله الحسيب ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (٦) والمرء

---

(١) البقرة : ٢٨٦ (٢) فصلت : ٤٦ (٣) الزلزلة : ٧ - ٨
(٤) الفطير والفج : الذي لم يكتمل نضجه . (٥) جدير . (٦) غافر : ١٩

محاسب على كل ذلك ، فإن واجبنا ألا نطعن أحداً أو نتهمه بظنة ، وأن نفترض جميع الطبقات في كافة مستوياتها الدينية إخوة متساوين : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (١) .

* * *

البعث والنشور

يُراد بالبعث : إعادة الحياة إلى الموتى ، ويُراد بالنشور خروج الناس عندما تدب فيهم الحياة من قبورهم يوم القيامة ذاهبين إلى « المحشر » وهو المكان الذي فيه الحساب . . وسوقهم إلى المحشر عملية تسمى « الحشر » حيث يجتمع كل الخلائق من لدن آدم إلى أن تقوم الساعة . . ﴿ فَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ ، إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ ، وَبَرَزُوا لِلَّهِ الوَاحِدِ القَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَومَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ (٢) * سَرَابِيلُهُم مِنْ قَطِرَانٍ (٣) وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ، إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (٤) .

وسرعة الحساب مع كثرة العدد ودقته راجعة إلى أن الله الذي ليس كمثله شيء هو المحاسب .. فكيفية الحساب من علم الغيب الذي لا نعرف تفاصيله ، إذ أن الله جل جلاله ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في كيفية عمله وأفعاله . . ولذلك رُوِي أن الحساب يتم في أقل من نصف يوم من أيام الدنيا .

ومع أن الله عليم فإنه سبحانه خلق لتسجيل حسناتنا وسيئاتنا ملائكة يحصونها بكافة صور الإثبات والتسجيل . . وفي المحشر توزع هذه السجلات كعرائض الدعوى للمتهم . وبراءات التكريم للصالحين ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ (٥) فِي عُنُقِهِ ، وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنْشُوراً * اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾ (٦) .

---

(١) الحجرات : ١٠

(٢) مقرنين : مقيدين ، والأصفاد : القيود والسلاسل . والمفرد صفد .

(٣) سرابيلهم من قطران : ملابسهم من القار ، وهو الزفت .

(٤) إبراهيم : ٤٧ - ٥١

(٥) طائر الإنسان : ما طار عنه من عمله .

(٦) الإسراء : ١٣ - ١٤

ولا يمكن الإفلات من سيئة لأنها مسجلة في كتاب محفوظ ﴿ وَيَقُولُونَ يَاوَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا ، وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً ، وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾ (١) . وربما كانت مطبوعة في طبعة تصويرية ، كما تلتقط الأفلام التي تسجل على المجرم حركته في الخفاء ، وتُعرض في صورة أشبه ما تكون بالعروض التليفزيونية ، ليقضي بالصورة على محاولة أى تفسير أو تبرير مخطىء كاذب ﴿ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(٢) فالعمل نفسه منه نسخة سجلته بحاله على هيئته ، كما سجله كتاب قُيد فيه العمل ذاته.

وأقصى ما يجد المرء هو أن تشهد عليه أعضاؤه بما اقترفت إن كان لدى الفاجر بقية من جرأة الفجور في إنكار الحقيقة ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ، قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣)

• دليل البعث :

والحجة على جواز البعث واضحة في الآية ﴿ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾ (٤) ، وفي سورة الروم من الإقناع العقلي والتجريبي كثير . قال تعالى : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ، إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٥) .

وقد أتى أُمية بن خلف الجمحي إلى النبي ﷺ بعظم قد رمَّ وبلى ففتته بيده وقال : أترى يا محمد - يحيى الله هذا بعد ما رَمَّ ؟ فقال النبي ﷺ : « نعم ويبعثك ويدخلك النار » . ونزلت الآية الكريمة : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ، قَالَ مَنْ يُحْيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ . قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ، وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَاراً فَإِذَا أَنتُم مِنْهُ تُوقِدُونَ * أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُم ، بَلَى وَهُوَ الخَلاَّقُ العَلِيمُ ﴾ (٦) .

* * *

---

(١) الكهف : ٤٩ (٢) الجاثية : ٢٩ (٣) أنظر في كتابنا « شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن » الرد على من ينكرون أن يكون للجلود نطق حسي - فصلت : ٢١ . (٤) الأعراف : ٢٩ (٥) الروم : ٥٠ (٦) يس : ٧٨ - ٨١

القرآن ووظيفته السياسية والاجتماعية

آمنت بالقرآن كتاباً من عند الله ، لي شرف كبير أن أتلوه وأحفظه ، بل واجبي أن أتلو فيه كثيراً وأحفظ منه ما استطعت . إن الذي يُندب ليكون المتحدث الرسمي باسم رئيس الجمهورية أو باسم الوفد البرلماني يشعر بفخار أى فخار . والمتحدث بكلمات الله في مشكلات الحياة أياً كان نوعها كيف لا يشعر بأعظم اعتزاز ؟ . إنه يناجي ربه بكلماته حين يتلوها ويتحدث باسمه سبحانه . إنه لا يشعر بالصغار من قراءة القرآن إلا من سفه نفسه . وعن ابن عباس مرفوعاً : « أشراف أمتي حملة القرآن » [1] . وعن ابن عمر مرفوعاً : « من قرأ القرآن فكأنما استدرجت النبوة بين جنبيه غير أنه لا يُوحي إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً أعطى أفضل مما أعطى فقد عظّم ما صغّر الله وصغّر ما عظّم الله »[2] { أخرجهما الطبراني }.

إن تشعب اللغات والألسنة يصنع حجاباً بين البشرية التي يريد الإسلام وحدتها تحت لواء واحد هو التوحيد ، وعلى قاعدة واحدة هى الإخاء . فحين دعا الناس إلى الإسلام ألزمهم الإيمان بالقرآن مصدر التشريع ، ولا مندوحة لهم عن دراسته . والتعرف على أحكامه منه ، وصلاتهم لا بد فيها من القرآن ، وفي الحديث : « ليس لك من صلاتك إلا ما عقلته منها » . ولا يتم عقل القرآن وإدراكه والتعرف على أحكامه منه إلا بإجادة لغته العربية . ومن ثَمَّ كانت فرضية قراءته : ﴿ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ [3] .

وقد روى الترمذي عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب » ، وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال : « لا تجعلوا بيوتكم مقابر ، إن الشيطان يفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة » .

وقد اعتبر الجوف الخالي من القرآن خرباً لأنه كالخزائن الخاوية لا يجد المرء

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير ص ١٩٣ .
(٢) فضائل القرآن ص ٢٠٠ .
(٣) المزمل : ٢٠

فيها ما ينفق منه . فالقرآن كنز عظيم يمد صاحبه بحل كل مشكلة . بل ويمنحه الحكمة التي هى زينة المتحدث ، والرشاد وهو فخر المستقيم . ولقد تحدَّث الدكتور « موريس بوكاى » المستشرق الفرنسي عن هذا الكنز الذي إن فقده المسلم كان كالجوف الخرب فقال :

« القرآن ندوة علمية للعلماء ، ومعجم لغة للغويين . ومعلم لمن أراد تقويم لسانه ، ودائرة معارف للشرائع والقوانين . وكل كتاب سماوي جاء قبله لا يساوي أدنى سورة من سوره في حسن المعاني وانسجام الألفاظ . ومن أجل ذلك نرى رجال الطبقة الراقية في الأمة الإسلامية يزدادون تمسكاً بهذا الكتاب واقتباساً لآياته ، يزينون بها كلامهم ، ويبنون عليها آراءهم كلما ازدادوا رفعة في القدر ونباهة في الفكر » .

واعتبر البيت الذي لا يُتلى فيه القرآن كالمقبرة التي فقد سكانها الروح الذي به الحركة والحياة فأصبحت الأجساد بها عفنة . وهكذا الحياة الاجتماعية حين تفقد القرآن - الذي يُزكّي النفس ويتسامى بها عن الخنا والفجور والغدر والخيانة والظلم ، ويُحَلِّق بالمجتمع إلى آفاق الحب والإخاء والعدل والمودة - تصبح الحياة حين تفقد القرآن عفنة مخيفة هامدة كالمقبرة .

وإن الوحدة الفكرية والدستورية التى يُقضى بها على التمزق الاجتماعي والسياسي تتم بجمع الناس على شىء لا يختلفون في تقديسه وتعظيمه وصحته .

وليس هناك أقدس ولا أعظم ولا أصح من القرآن . فتلاوته عملية حتمية لإيجاد تجانس فكري بين الأمة التي تمزقت حول المذاهب والأفكار المنحرفة التي يبدو فيها كل يوم ثلمات تقتضي الثورة لتصحيحها .

فلا بد لكل وطني مؤمن بوطنه أن يُسهم في صنع الوحدة الفكرية المؤمنة التي هى القاعدة الوحيدة الصالحة لإنشاء وحدة سياسية وجماهيرية متلاحمة بصدق . لا بد له من أن يعيش مع القرآن يتلوه ، ويتدبر كلماته اللغوية وأسباب نزوله ومرامي آياته وتشـــريعاته ثم يأخذ نفسه بالتدريب على الجانب العملي منها

ويتحدث مع الناس فيما فهمه ، فهذا هو طريق النهضة ، فقد روى مسلم في صحيحه عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ أنه قال : « إن الله يرفع بهذا الكلام أقواماً ويضع به آخرين » .

إننا نشاهد اليوم تجمعاً أسبوعياً لمعظم العائلات التي تملك جهاز تليفزيون حول الفيلم الأسبوعي الذي يستمر عرضه ساعتين . وفي شهر ديسمبر ١٩٧٢ كان عرضه ليلة الجمعة - وتذكرت الإسلام قبل الانهيار الذي صرنا إليه حيث كانت المسلمة مع زوجها وبنيها ليلة الجمعة يتلون سورة البقرة كل أسبوع بما تضمنته من أحكام الأحوال الشخصية والعبادات ، ودراسة الأحوال الاجتماعية للأمم ، وبخاصة الإسرائيليين والمنافقين والمشركين ، وما تضمنته من تاريخ التحرك الإسلامي وطبائع الناس .

وتذكرت كيف كانت المسلمة في أسرتها تُعد طعام البيت ، ثم يجلس الجميع إلى كتاب الله في صباح الجمعة يتلون سورة آل عمران بما فيها من قصة البتول الطاهرة مريم ابنة عمران .

ويدرسون كيف يرعى الله الأتقياء . . وكيف تنهزم جحافل الشر وينتصر الحق . ويتدبرون مغازي رسول الله ﷺ في السورة ، وآداب الحديث والصدقة ، وقد روى مسلم في صحيحه عن النَّواس بن سمعان رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتي يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به في الدنيا ، تقدمه سورة البقرة وآل عمران تحاجان - تدافعان - عن صاحبهما ».

وتذكرت كيف كانت المسلمة تصلي أو يصلي معها زوجها والجميع في خشوع يقفون في صلاة صبح الجمعة يقرأون في الركعة الأولى سورة السجدة بأكملها وفي الركعة الثانية سورة الدهر (الإنسان) .

ثم يجلسون يتذاكرون ما تُلى عليهم في صلاتهم من قصة ابتداء الخلق ، ويتعرفون على المصير النهائي لسلسلة البشرية ، وبهذا تربو ثقافة المسلمة ولا تمضي في الحياة جاهلة بالبدء والمصير الذي ابتدأت به وتنتهي إليه حياتها .

وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد ، اعتزل الشيطان يبكي يقول : ياويله - وفي رواية - يا ويلي : أُمِرَ ابن آدم بالسجود فسجد ، فله الجنة . وأُمِرت بالسجود فأبيت فليَ النار » .

ثم يقول أفراد الأسرة يستحمون للجمعة ، ويعودون إلى كتاب الله في يوم عيد الإسلام الأسبوعي ليقرأوا سورة الكهف بما فيها من بيان دور الشباب المؤمن الذي يتحدى الفساد فينتصر إيمانه بعد صراع طويل ﴿ ثَلاثَ مائَةٍ سِنِينَ وازْدَادُوا تِسْعاً ﴾ (١) ، ويتعرفون على طبيعة الصراع بين الإنسان والشيطان وبين طغيان المال ، وجلال الإيمان . وقد جاء في صحيح مسلم عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصمه الله من الدجال » .

وقد رُوِيَ مثل هذا أيضاً عن العشر الأواخر من سورة الكهف . ولقد كانت المسلمة تُعَلِّم الغزل وما يمكن أن تسهم به في دعم اقتصاديات المنزل أو حسن تدبيره كما تُعَلِّم سورة الواقعة ، وتبارك ، والدخان ، ويس ، والتحريم ، والطلاق ، والنساء ، والنور ، والبقرة ، وآل عمران ، والكهف .

إنها ذات رصيد من الفضيلة بمقدار ما تتعبد به من سور القرآن . تلاوةً وعملاً . وقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : « مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة -أى التفاحة - ريحها طيبٌ وطعمها حلو . ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها ، وطعمها حلو . ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة ، ريحها طيب ، وطعمها مر . ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ، لا ريح لها وطعمها مُرٌّ » وفي رواية : مثل « الفاجر » بدل «المنافق ».

---

(١) الكهف : ٢٥

والعجب كيف ينتسب إلى الإسلام إنسان ليس لديه وضوح لرؤية هذا الإسلام، وليس للإسلام مصدر أعظم من القرآن ثم صحيح حديث رسول الله ﷺ . . وكيف تصل تعاليم الله ومفاهيم الإسلام لإنسان لا يعيش مع القرآن طويلاً . . وطويلاً جداً . . بتأمل واهتمام وتدبر ؟

إن الشيوعي لا يُعد نفسه شيوعياً إلا إذا قرأ رأس المال لكارل ماركس والمادية الدياليكتيكية والمادية التاريخية لستالين - والمنفستو وغيرها ، لأنها المصادر الرئيسة لعقيدته . . فهل هان إسلام المسلم إلى حد أنه أصبح بكتبه وثقافاته أقل احتراماً من شيوعية الشيوعي وكتبها . وأقل جدارة بالدرس من كتب الشيوعية ؟ أو هل الذي أنزل الكتاب على عبده محمد ﷺ أقل قدرة على المنطق السليم من ماركس ولينين وستالين وأنجلز ؟ أو أقل منهم جدارة بأن يُهتم بما أنزله ؟ !

الناس تكاد في تصرفاتها تكفر بالله وهى لا تدري ، وصدق رسول الله إذ حذرنا ذلك فقال : « اتقوا الشرك فإن الشرك أخفى من دبيب النمل » . . وعلمّنا أن نستعيذ منه فنقول ، ونحن نعي ما نقول ، ونجد حين نقول صباحاً ومساءً : « اللّهم إني أعوذ بك من أن أشرك بك شيئاً أعلمه ، وأستغفرك لما لا أعلمه » ، ونكررها ثلاثاً .

إن دعوة الله ورسوله والمصلحين إلى تلاوة القرآن ليست دعوة إلى تمتمة كهنوتية وترنيمات مسيحية . إنها دعوة إلى عمل هام في عملية التحول والتغيير . . إنها عملية وضع أيديولوجية واضحة لدى المسلمة تنشىء عليها الجيل الصاعد بعد أن ظلت تعيش بلا أيديولوجية ولا أى مفهوم سليم عن الإسلام . . إنها خطوة هامة ورئيسية لإنقاذ الإسلام من خطة الإبادة المئوية التي رسمها الاحتلال البريطاني مع أدواته في مصر منذ وطئت أقدامه الوادي عام ١٨٨٢ . . وقد حدَّد المؤتمرون على الإسلام في مصر مائة عام يتم فيها القضاء على آخر مقومات الإسلام في البلد الحبيب « مصر » ، وهى مؤامرة يتعاون

فيها ويستفيد منها الإلحاد والصهيونية والوثنية معاً .. وفي رسالة أخرى سنوضح - إن شاء الله - كيف يعمل الكفر ضد الإيمان ، وقرر أحرار الأقباط في مصر رفض التعاون مع الاحتلال البريطاني في مؤامراته حرصاً على الوحدة الوطنية .

وكثيراً ما أرى الفتاة يبرق على صدرها الناهد حلية ذهبية تصوِّر المصحف تتبرك بها . . وهذه شارة دالة على تمجيدها كتابها . وكان الجدير بها أن تتعرف على ما في هذا الكتاب الذي علّقت صورته . . كان الجدير بها أن تضعه داخل صدرها في أعماق قلبها ، سورة سورة وآية آية ، تحركها في سلوكها كله ، فإن لبست ثيابها لم تلبس ثوبا يلعنها القرآن الذي تُعَلّق صورته إذ يقول : ﴿ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى ﴾ (١) . ويلعنها إذ تمشي تلفت إليها الأنظار برائحتها ، ونوع ثيابها ، أو بحركتها ونظراتها .

ولا أمنع يا أختي تعليق حلية الذهب كتذكار يشير إلى أنك مؤمنة بالقرآن ، ويذكرك بمضمون آياته ، ولكن أود يا أختي أن تجعلي القرآن ربيع قلبك . ومنهج حياتك كلها ، وأخاف عليك يوماً تقفين فيه أمام الله للتحقيق ، وفي حضرة رسول الله ﷺ ، وتكونين في الطائفة المنبوذة التي يحكي الله موقف الرسول منها فيقول سبحانه : ﴿ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا القُرْآنَ مَهْجُوراً ﴾ (٢) .

وهل هناك هجر للقرآن أوضح من أن تُعَلّقه المسلمة خلفها في السيارة ، أو أمامها ، أو على المكتب أو الجدار أو المنضدة . ثم لا تفتحه ، وربما لا تفض العلبة الأنيقة التي قبرته فيها للتعرف على ما فيه من حكمة وهدى ، إننا نعيش مأساة الإسلام في القرن العشرين بالمنطق المعكوس .

وأمنع تعليق المصحف الرمزي حين يصبح مظهراً من مظاهر الزينة ، وبقصد الزينة ، لا رغبة في إظهار الاعتزاز بهدى هذا الكتاب الكريم ، في الوقت الذي اعتبره الملاحدة شارة التأخر والرجعية .

* * *

(١) الأحزاب : ٣٣ (٢) الفرقان : ٣٠

• بعض أحكام القرآن في التلاوة :

١ - إن استطعت أن تتوضئى لتحملى المصحف فافعلى ، وإلا فاحملي المصحف واقرأي بأى حال ، ولكن فقط تلتزمين بقول رسول الله ﷺ : « لا يقرأ الحائض ولا الجنب شيئاً من القرآن » . ففي هذه الحال يكون توجهك إلى دراسة الأدب والفقه والتوحيد والمجلات الإسلامية ورسائل الدعوة الإسلامية ، وقد أجاز بعض المالكية للطالبات قراءة القرآن للتعلم في حصص الدراسة ، لا للتعبد بالتلاوة . وقال ابن عباس في الآيات : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ * لاَ يَمَسُّهُ إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ ﴾ (١) : الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، والمطهرون هنا هم الملائكة ، فاستدلال الشافعية بهذه الآيات على تحريم مس المصحف لمن ليس متوضئاً . باطل بناء على تفسير ابن عباس . وإنما التطهر مستحب تأسياً بالملائكة المقربين .

٢ - استشعري أنك تقرأين كلام الله وتناجيه بكلماته ، وهو حاضر معك يراك ويسمعك ، فتضرعي إليه كما تتضرع الفتاة لأبيها الرحيم أن يمنحها شيئاً، أو يغفر لها خطيئة . ولله المثل الأعلى . وقد روى النووي في التبيان عن رسول الله ﷺ قال : « اقرأوا القرآن وابكوا . فإن لم تبكوا فتباكوا » .

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن مسعود قال : قال لي رسول الله ﷺ : « اقرأ عليّ القرآن ، فقلت : يا رسول الله . . أقرأ عليك وعليك أُنزل ؟ قال : إني أحب أن أسمعه من غيري . فقرأت عليه سورة النساء حتى إذا جئت إلى هذه الآية : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلاءِ شَهِيداً ﴾ (٢) . قال : حسبك الآن ، فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان » - أى تسيل دموعهما .

٣ - لا بد من تجويد القراءة بتقليد قراءة المصحف المرتل ، ومن الكتب التي تضمنت أحكام التلاوة والتجويد « علوم القرآن » لأحمد عادل كمال . أو « التجويد وعلوم القرآن » لعبد البديع صقر .

---

(١) الواقعة : ٧٧ - ٧٩ (٢) النساء : ٤١

٤ - تُسن الاستعاذة عند قراءة أى شئ من القرآن ، وقيل : تجب ، كما تسن البسملة فيما عدا التوبة ، ويجمع بين الاستعاذة والبسملة فى أوائل السور . أما وسط السور فقيل : يجمع ، وقيل : يُستعاذ ولا بسملة .

٥ - يُستحب إكثار تلاوة القرآن فى شهر رمضان ، لأنه ابتدئ بنزوله فيه . ولهذا كان جبريل يعارض به رسول الله ﷺ - أى يُسمِّع له - فى كل سنة فى شهر رمضان ، فلما كانت السنة التى توفى فيها عارضه مرتين تأكيداً وتثبيتاً .

وكان النبى ﷺ إذا تعب من الوقوف فى تهجده ولم يفرغ من السورة جلس فقرأ ما شاء الله أن يقرأ . فإذا أراد الركوع قام واستمر يقرأ ماتيسر، ثم كبَّر للركوع فركع ..

وروى مسلم عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ البقرة ثم النساء ثم آل عمران ، وقرأ عمر من الفجر بسورتى النحل ثم يوسف [١] .

وحبذا لو حفظت المسلمة شيئاً فى نهارها لتستعيده فى صلاتها ، ولا بأس أن تستعين بالمصحف إذا طالت قراءتها ولم تكن تحفظ الآيات جيداً .

٦ - لا يجوز أن يُكتب القرآن طبقاً لقواعد الإملاء الحديثة عند مالك [٢] . إلا ما كان آية أو بضع آيات استُشهد بها فى كتاب أو مقال .

٧ - القراءات السبع ترجع إلى مصحف عثمان الذى أجمعت الأمة على صحته وكلها نزل بها الوحى على النبى ﷺ ، فهى فى تعددها كالحديث الذى قاله النبى ﷺ عدة مرات ، فروى بعدة وجوه كلها صحيحة ، وإن اختلفت بعض الحروف أو الكلمات التى لا تغير المعنى تغييراً يبلغ درجة التناقض .

قال القرطبى : وقد سوّغ كل واحد من القراء السبعة قراءة الآخر وأجازها ، وإنما اختار القراءة المنسوبة اليه ، لأنه رآها أحسن وأولى عنده [٣] .

---

(١) فضائل القرآن لابن كثير ص ٣٨٠ - ط المنار ١٣٤٧ هـ .

(٢) المرجع السابق ص ٥١ .

(٣) المرجع السابق ص ٨٠ .

٨ - والجمهور على أن كتابة القرآن بالخط العثمانى واجبة .. إلا ما كان شاهداً فى مقال .. وجعلوا لكل كلمة خالفت طريقة الكتابة الحديثة معانى دلت عليها طريقة الكتابة المصحفية .

٩ - إذا اشتبه عليك حرف هل هو بالتذكير أو التأنيث ، فاجعله مذكراً لأن التذكير أفضل ، وإذا شككت هل هو بالرفع أو غيره فالرفع أفضل ، أو هل هو بالنصب أو الجر فالنصب أفضل ، أو فى لفظ هل هو موجود فى الآية أم لا : فاتركه ، أو شككت فى العطف أبالفاء أو الواو ، فاجعله بالواو .

* * *

obeikandl.com

obeikandl.com